

شرح مسند أبي حنيفة

- سؤال القبر .

أبو حنيفة (عن رجل عن سعد بن عبادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا وضع المؤمن) أي دفن في قبره حقيقة أو حكما والمراد به مؤمن هذه الأمة (أتاه الملك) أي جلسه فلا ينافي ما ورد من أنه أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما نكير وللآخر منكر (فأجلسه) أي أحدهما أو كل منهما (فقال : من ربك) الذي خلقك ورزقك (فقال) أي المؤمن (ا) أي ربي ويحتمل حذف المبتدأ والخبر (قال : ومن نبيك ؟ قال : محمد قال : وما دينك قال الإسلام) والسؤال الثاني مؤكد للأول لتلازمها قال : أي النبي صلى الله عليه وسلم (فيفسح) بصيغة المجهول أي فيوسع له (في قبره) أي بعدما يحصل له ضغطه في بدو أمره (ويرى) بصيغة المجهول من الإراءة (مقعده) نصب على المفعولية ومن في (من الجنة) بانية .

وفي رواية زيادة : مقعده من النار لو كان من الكفار فيزيد سرورا على سرور في مشاهدة تلك الدار (فإذا كان) أي الميت أو المدفون (كافرا أجلسه الملك فقال : من ربك ؟ قال : هاه) بالسكون كلمة توجع والهاء الأولى مبدلة من همزة آه كما نقله السيوطي عن القرطبي : وفي رواية هاه هاه (لا أدري) أي لا أعلم وقوله (كالمضل) جملة اعتراضية تشبيهية هي الفاعل ومفعوله وهو (شيئا) والأقرب أن يكون شيئا مفعولا للمضل ولا أدري يكون منزلا منزلة اللازم أي ليس لي دراية (فيقول) أي الملك (من نبيك ؟) لأن الإيمان بالنبي السعيد مستلزم للتوحيد (فيقول : هاه لا أدري كالمضل شيئا فيقال : ما دينك ؟ فيقول لا أدري كالمضل شيئا فيضيق عليه قبره) أي فيزداد في ضيق أمره (ويرى مقعده من النار) .

وفي رواية زيادة ومقعده من الجنة لو كان من الأبرار ليزيد حزنا على حزن وهذا معنى قوله (ضربة) الملك أي (فيضربه) " النيران حفر من حفرة أو الجنة رياض من روضة القبر " E أي بمقعدة من نار أو بمطرقة من حديد كما في بعض الروايات (يسمعه) أي صوت ضربه أو صوت مضروبه (كل شيء من المخلوقات إلا الثقلين الجن والإنس) وذلك لأنهم مكلفون بالإيمان الغيبي (ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي استشهادا أو اعتضادا { ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت } وهو الإقرار اللساني المطابق للتصديق الجناني بالتوحيد الإلهي والإرسال النبوي { في الحياة الدنيا } يعني قبل الموت { وفي الآخرة } (1) في القبر هذا قول أكثر أهل التفسير وقيل { في الحياة الدنيا } في القبر عند السؤال { وفي الآخرة } عند البعث والأول أصح كما صرح به البغوي وفي البخاري عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى

اﻟﻤﺴﻠﻢ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻗﺎﻝ : ﺍﻟﻤﺴﻠﻢ ﺍﺫﺍ ﺳﺌﻞ ﻓﻲ ﺍﻟﻘﺒﺮ ﻳﺸﻬﺪ ﺃﻥ ﻻ ﺇﻟﻪ ﺇﻻ ﺍﻟﻠﻪ ﻭﺃﻥ ﻣﺤﻤﺪﺍ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻓﺬﻟﻚ ﻗﻮﻟﻪ { ﻳﺜﺒﺖ ﺍﻟﻠﻪ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﺃﻣﻨﻮﺍ ﺑﺎﻟﻘﻮﻝ ﺍﻟﺜﺎﺑﺖ ﻓﻲ ﺍﻟﺤﻴﺎﺓ ﺍﻟﺪﻧﻴﺎ ﻭﻓﻲ ﺍﻻﺧﺮﺓ (2) .

ﻭﻓﻲ ﺻﺤﻴﺢ ﻣﺴﻠﻢ ﻋﻦ ﺍﻟﻨﺒﻲ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻗﺎﻝ : { ﻳﺜﺒﺖ ﺍﻟﻠﻪ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﺃﻣﻨﻮﺍ ﺑﺎﻟﻘﻮﻝ ﺍﻟﺜﺎﺑﺖ { ﻗﺎﻝ ﻧﺰﻟﺖ ﻓﻲ ﻋﺬﺍﺏ ﺍﻟﻘﺒﺮ ﺣﻴﻦ ﻳﻘﺎﻝ ﻭﻣﻦ ﺭﺑﻚ ؟ ﻳﻘﻮﻝ : ﺭﺑﻲ ﺍﻟﻠﻪ ﻭﻧﺒﻴﻲ ﻣﺤﻤﺪ ﻓﺬﻟﻚ { ﻳﺜﺒﺖ ﺍﻟﻠﻪ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﺃﻣﻨﻮﺍ ﺑﺎﻟﻘﻮﻝ ﺍﻟﺜﺎﺑﺖ (2) ﺍﻻﻳﺔ .

ﻭﺍﻻﺣﺎﺩﻳﺚ ﻓﻲ ﺫﻟﻚ ﻛﺜﻴﺮﺓ ﻓﻲ ﺍﻟﻤﺒﻨﻰ ﻭﻗﺪ ﺗﻮﺍﺗﺮﺕ ﺑﺤﺴﺐ ﺍﻟﻤﻌﻨﻰ ﻭﺍﺟﻤﻌﻮﺍ ﻋﻠﻴﻪ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﺴﻨﺔ ﺧﻼﻓﺎ ﻟﺒﻌﺺ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﺒﺪﻋﺔ { ﻭﻳﺰﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺍﻟﻈﺎﻟﻤﻴﻦ } (2) ﺃﻱ ﻻ ﻳﻬﺪﻱ ﺍﻟﻤﺸﺮﻛﻴﻦ ﻓﻲ ﺍﻟﻘﺒﺮ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﺠﻮﺍﺏ ﺍﻟﺴﻮﺍﺏ { ﻭﻳﻔﻌﻞ ﺍﻟﻠﻪ ﻣﺎ ﻳﺸﺎﺀ } (2) ﻣﻦ ﺍﻟﺘﻮﻓﻴﻖ ﻭﺍﻟﺨﺬﻻﻥ ﻭﺍﻟﺌﻌﺎﺀ ﻭﺍﻟﺤﺮﻣﺎﻥ ﺑﻤﻦ ﻳﺸﺎﺀ ﻣﻦ ﻋﺒﺎﺩﺓ ﻓﻲ ﺩﺍﺭ ﺍﻟﺌﻤﺘﺤﺎﻥ .

ﻭﺑﻪ (ﻋﻦ ﻋﻠﻘﻤﺔ ﻋﻦ ﺍﺑﻦ ﺑﺮﻳﺪﺓ ﻋﻦ ﺃﺑﻴﻪ ﻗﺎﻝ ﻗﺎﻝ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻳﻮﻣﺎ ﻟﺄﺼﺤﺎﺑﻪ : " ﺃﺗﺮﺿﻮﻥ) ﺃﻱ ﺗﺤﺒﻮﻥ (ﺃﻥ ﺗﻜﻮﻧﻮﺍ ﺭﺑﻊ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﺠﻨﺔ ؟ ﻗﺎﻟﻮ : ﻧﻌﻢ ﻗﺎﻝ : ﺃﺗﺮﺿﻮﻥ ﺃﻥ ﺗﻜﻮﻧﻮﺍ ﺗﻠﺚ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﺠﻨﺔ) ﺃﻱ ﻓﻲ ﺍﻟﻜﺜﺮﺓ ﺑﺎﻟﻨﺴﺒﺔ ﺇﻟﻰ ﺳﺎﺋﺮ ﺃﻣﻢ ﺍﻟﺠﺎﺑﺔ (ﻗﺎﻟﻮ : ﻧﻌﻢ ﻗﺎﻝ : ﺃﺗﺮﺿﻮﻥ ﺃﻥ ﺗﻜﻮﻧﻮﺍ ﻧﺴﻒ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﺠﻨﺔ ؟ ﻗﺎﻟﻮ : ﻧﻌﻢ ﻗﺎﻝ : ﺃﺑﺸﺮﻭﺍ ﻓﻴﻦ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﺠﻨﺔ ﻋﺸﺮﻭﻥ ﻭﻣﺎﺋﺔ) ﻭﻫﻮ ﻟﻐﺔ ﻓﻲ ﻣﺎﺋﺔ ﻭﻋﺸﺮﻳﻦ (ﺻﻔﺎ ﺻﻒ ﺃﻣﺘﻲ ﺃﻣﺘﻲ ﻣﻦ ﺫﻟﻚ ﺋﻤﺎﻧﻮﻥ ﺻﻔﺎ) ﻓﻴﻜﻮﻧﻮﻥ ﺗﻠﺜﻲ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﺠﻨﺔ . ﻭﺃﺭﺟﻮ ﺃﻥ ﺗﻠﺜﻲ ﻫﺬﺓ ﺍﻟﺌﻤﺔ ﻓﻲ ﺍﻟﺠﻨﺔ ﺟﻤﺎﻋﺔ ﺍﻟﺤﻨﻔﻴﺔ ﻟﻜﺜﺮﺗﻬﻢ ﺑﺎﻟﻨﺴﺒﺔ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﻤﺎﻟﻜﻴﺔ ﻭﺍﻟﺸﺎﻓﻌﻴﺔ ﻭﺍﻟﺤﻨﺒﻠﻴﺔ ﻭﺇﻥ ﻛﺎﻥ ﺍﻟﻜﻞ ﻋﻠﻰ ﻣﻠﺔ ﺍﻟﺤﻨﻴﻔﻴﺔ .

ﻭﺍﻟﺤﺪﻳﺚ ﺭﻭﺍﻩ ﺃﺣﻤﺪ ﻭﺍﻟﺘﺮﻣﺬﻱ ﻭﺍﺑﻦ ﻣﺎﺟﻪ ﻋﻦ ﺍﺑﻦ ﻣﺴﻌﻮﺩ ﻣﺮﻓﻮﻋﺎ ﺑﻠﻔﻆ : ﺃﺗﺮﺿﻮﻥ ﺃﻥ ﺗﻜﻮﻧﻮﺍ ﺭﺑﻊ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﺠﻨﺔ ﺃﺗﺮﺿﻮﻥ ﺃﻥ ﺗﻜﻮﻧﻮﺍ ﺷﻄﺮ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﺠﻨﺔ ؟ .

ﻭﺭﻭﺍﻩ ﺍﻟﻄﺒﺮﺍﻧﻲ ﻋﻦ ﺃﺑﻲ ﻣﺎﻟﻚ ﺍﻟﺄﺷﻌﺮﻱ ﻭﻟﻔﻈﻪ : ﺃﺗﺮﺿﻮﻥ ﺃﻥ ﺗﻜﻮﻧﻮﺍ ﺭﺑﻊ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﺠﻨﺔ ؟ ﺃﺗﺮﺿﻮﻥ ﺃﻥ ﺗﻜﻮﻧﻮﺍ ﺗﻠﺚ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﺠﻨﺔ ؟ ﻭﺍﻟﺬﻱ ﻧﻔﺴﻲ ﺑﻴﺪﻩ ﻟﺄﺭﺟﻮ ﺃﻥ ﺗﻜﻮﻧﻮﺍ ﺷﻄﺮ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﺠﻨﺔ .

ﻭﻓﻲ ﺭﻭﺍﻳﺔ ﻟﺄﺣﻤﺪ ﻭﻋﺒﺪ ﺑﻦ ﺣﻤﻴﺪ ﻓﻲ ﺗﻔﺴﻴﺮﻩ ﻋﻦ ﺟﺎﺑﺮ ﺇﻧﻲ ﻟﺄﺭﺟﻮ ﺃﻥ ﻳﻜﻮﻥ ﻣﻦ ﺗﺒﻌﻨﻲ ﻣﻦ ﺃﻣﺘﻲ ﻳﻮﻡ ﺍﻟﻘﻴﺎﻣﺔ ﺭﺑﻊ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﺠﻨﺔ .

ﻭﻓﻲ ﺭﻭﺍﻳﺔ ﺍﻟﻄﺒﺮﺍﻧﻲ ﻋﻦ ﺑﻬﺰ ﺑﻦ ﺣﻜﻴﻢ ﻋﻦ ﺃﺑﻴﻪ ﻋﻦ ﺟﺪﻩ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﺠﻨﺔ ﻣﺎﺋﺔ ﻭﻋﺸﺮﻭﻥ ﺻﻔﺎ ﺃﻧﺘﻢ ﻛﺎﻧﻮﺍ ﻭﺍﻟﻨﺎﺱ ﺳﺎﺋﺮ ﺫﻟﻚ ﻭﺃﻧﺘﻢ ﻭﻓﺎﺀ ﺳﺒﻌﻴﻦ ﺃﻣﺔ ﺧﻴﺮﻫﺎ ﻭﺃﻛﺮﻣﻬﺎ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ .

ﻭﻓﻲ ﺭﻭﺍﻳﺔ ﻟﻠﻄﺒﺮﺍﻧﻲ ﻭﺍﻟﺤﺎﻛﻢ ﻋﻦ ﺍﺑﻦ ﻣﺴﻌﻮﺩ : ﺃﻫﻞ ﺍﻟﺠﻨﺔ ﻣﺎﺋﺔ ﻭﻋﺸﺮﻭﻥ ﺻﻔﺎ ﻭﺃﻧﺘﻢ ﻣﻨﻬﺎ ﺋﻤﺎﻧﻮﻥ ﺻﻔﺎ .

ﻭﻓﻲ ﺭﻭﺍﻳﺔ ﻟﺄﺣﻤﺪ ﻭﺍﻟﻄﺒﺮﺍﻧﻲ ﻋﻦ ﺍﺑﻦ ﻣﺴﻌﻮﺩ ﻛﻴﻒ ﺃﻧﺘﻢ ﺭﺑﻊ ﺍﻟﺠﻨﺔ ﻟﻜﻢ ﻭﻟﺴﺎﺋﺮ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﺗﻼﺛﺔ ﺃﺭﺑﺎﻋﺎ ﻛﻴﻒ ﺃﻧﺘﻢ ﻭﺗﻠﺜﻬﺎ ﻛﻴﻒ ﺃﻧﺘﻢ ﻭﺍﻟﺸﻄﺮ ﻛﻴﻒ ﺃﻧﺘﻢ ﻭﺃﻫﻞ ﺍﻟﺠﻨﺔ ﻳﻮﻡ ﺍﻟﻘﻴﺎﻣﺔ ﻋﺸﺮﻭﻥ ﻭﻣﺎﺋﺔ ﺻﻒ ﺃﻧﺘﻢ ﻣﻨﻬﺎ ﺋﻤﺎﻧﻮﻥ ﺻﻔﺎ .

وروى ابن أبي حاتم عن عوف بن مالك : أمتي ثلاثة أثلاث فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة وثلث يمحصون ويكشفون ثم تأتي الملائكة فيقولون : وجدناهم يقولون لا إله إلا أنا فيقول أنا : صدقوا لا إله إلا أنا فأدخلوهم الجنة بقول لا إله إلا أنا .

_____ .

(1) إبراهيم 27 .

(2) سورة إبراهيم 27